في ذكرى الباقي

للأستاذ حسن حسين

سكرتير جمعية الأهرام الروحية

الأستاذ طه عبد الباقي سرور كاتب إسلامي عريق أشهد أني ماطالعت له كتابا أو مقالا - وما اكثر ماكتب ويكتب - الا اقبلت إليه اقبال الجائع النهم لروعة أسلوبه وغزارة علمه وسعة اطلاعه ودسامة بحثه مع ايمان عميق بما يكتب وفهم دقيق لدخائل الشخصيات الفذة التي ترجم لها .

ولا شك انى والآلاف المعجبين به من مدرسته قد أفدنا الشيء الكثير من علمه الشامل واطلاعه الواسع وأدبه الساحر وان كنا قد عجزنا عن مجاراته فى محاكاة أسلوبه الرشيق الذى تميز به بين الأدباء والباحثين .

ولعل من أخطر الشخصيات التاريخية التي عالجها بقلمه الطيع وأشقها على الباحث والمترجم معا شخصية أبي منصور الحسين بن الحلاج وذلك لانهام الكثير من تاريخه وتضارب الروايات التي حيكت عنه فى تاريخه المضطرب مع اختلاف مفاهيم وأذواق وأهواء من تصدوا للتأريخ له فمن مقر له بالذروة من مراتب الولاية الى منحط به لادنى مراتب الزندقه .

على أن هذا الاضطراب التاريخى فى ذاته لايعنيني الآن وقد أفضى الى ربه إلا بالقدر الذى يتيح لى تقريب مفاهيم الروحية الحديثة السليمة لمبادىء التصوف الإسلامى الصحيح وبيان وحدة الوسائل والأهداف بينهما .

وأحب قبل أن أتطرق الى صلب الموضوع أن أوضح أن الروحية الحديثة ليست بدعا فى ظاهر معلومها أو باطن مفهومها فان سادتنا أئمة التصوف قد عرفوها عن تذوق ومارسوها على ارقاء وإنما تحت اسماء اصطلاحية مختلفة عما نعرفها بها اليوم .

وقد تعرض سيدى على البيومى فى رسالته « الفضل والمنة » لموهبتى الجلاء البصرى والسمعى والتجسد فقال « ان الكشف « الجلاء البصرى » معنوى وصورى . والصورى يحصل فى عالم المثال عن طريق الحواس الخمس وذلك إما أن يكون عن طريق المشاهدة كرؤية المكاشف (الوسيط أو الموهوب) تحقق صور الأرواح المتجسدة والأنوار الروحانية . واما عن طريق الذوق والالهام » .

كما يقول الشيخ الجيلى فى الانسان الكامل متحدثا عن تلك الظواهر الروحية والوسطاء الموهوبين « ومنهم (أى الوسطاء أو الموهوبون) من يرى صورا روحانية تناجيه .

أما الامام الغزالى فيصف هذه المواهب العالية فى كتابه المنقذ من الضلال فيقول .

حتى أنهم (الوسطاء العالون) فى يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتا ويقتبسون منهم فوائد ،

ولقد أوردت لنا كتب التصوف وتراجم القوم أمثلة لهذه الوساطات فى كتاب الروح لابن القيم . ان على ابن أبى طالب القبر « أى الحابد قال ـ

وليس عمير بن وهب أعجب مما كان عندنا وشاهدناه فى عصرنا بمدينتنا من أن محمدا عبد الله التعايشى وكان رجلا صالحا مشهورا برؤية الأموات وسؤالهم عن الغائبات ونقله ذلك إلى أهلهم وأقربائهم حتى اشتهر بذلك وكثر عنه . فكان المرء يأتيه ويشكو إليه أن حميمه قدمات من غير وصية وله مال لا يهتدى إلى مكانه فيعده خيرا ويدعو الله تعالى فى ليلته فيتراءى له الميت الموصوف فيسأل عن الأمر فيخبره به .

وفى الطبقات للامام الشعرانى : أن أبا بشر صالح المرى كان يسمع كلام الموتى ويكلمهم ويكلمونه بالمواعظ وأن الشيخ على العياشى أيضا كان الأولياء الأموات يزورونه كثيراً لا سيما الإمام الشافعى رضى الله عنه ، وكان يخبر كل قليل أنه كان عنده يقظة لا نوما . وكان من لا يعرف حاله يقول خراف .

ويذكر الشعرانى أنه اجتمع فى الملكوت بأرواح الشيخ عبدالقادر الجيلانى وأحمد بن حسين الرفاعى وابراهيم الدسوقى رضى الله تعالى عنهم .

كما صرح الشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي في أكثر من موضع من كتبه العديدة أنه اجتمع بأرواح أنبيا. الله يوسف الصديق وابراهيم الخليل وعيسى على نبينا وعليهم أفضل الصلوات.

كما ذكر الإمام الشعراني في الكبريت الأحمر أن سيدي محي الدين بن عربي اجتمع بروح أبي منصور الحسين ابن الحلاج فقال له لم تركت بيتك يخرب؟ فتبسم وقال: لما استطالت عليه أيدي الأكوان حين أخليته وخلفت هارون في قومي استضعفوه فكادوا يقتلونني. فأجمعوا على تخريبه، فلما هدموا من قواعده ما هدموا وكنت قد فنيت، رددت إليه بعد الفناء فأشرفت عليه وقد خلت به المثلات، فأنفته نفسي، وقلت لا أعمر بيتا تحكمت فيه الأكوان، فانقبضت عن دخوله، فقيل مات الحلاج، والحلاج ما مات، ولكن البيت خرب والساكن ارتحل.

ومن الطريف أن روح سيدي الحلاج قد شرفت إحدى الجلسات أخيراً واعتذر عن بعض ما أثر عنه من شطحات قائلا، لقد تكشفت لي كثير من الحقائق التي كنت أجهلها بعد انتقالي.

من هذا وغيره يمكن القول باطمئنان أن جميع الظواهر الروحية الحديثة أمور يعرفها التراث الإسلامي الخصيب.

وربما تبادر لذهن القارئ أن هذه الظواهر مع التسليم بصحتها يلزم أن تكون قاصرة على الأولياء والصالحين، وهو أمر لا يؤيده واقع الحال، إذ نرى إلى اليوم من عوام الناس من يتمتع بها شأنها شأن كل مواهب الله تعالى التي ينعم بها الصالح والطالح كالجاه والكرم والذكاء والقوة وحدة البصر التي لا يختص بها بر دون فاجر.

يؤيد هذا ما قاله به سيدي عبد العزيز الدباغ فيما رواه عنه ابن المبارك في كتابه الأبريز قال:

ومما يؤيد أن المشاهدة الفكرية (الجلاء البصري) وأنها تقع لغير المفتوح عليهم (غير الأولياء والصالحين) كونها تقع لمن كملت محبته في شخص. ولقد أخبرني بعض الجزارين أنه مات له ولد وكان يحبه كثيرا وأنه لم يزل يشخصه في فكره حتى أن عقله وجوارحه كلها معه، فكان هذا دأبه ليلا ونهارا إلى أن

خرج ذات يوم إلى باب الفتوح أحد أبواب فاس لشراء الغنم على عادة الجزارين فجال فكره من أمر ولده المبيت ، فبينما هو يجول بفكره إذ رآه عيانا وهو قادم إليه حتى وقف بجانبه . قال : فكلمته وقلت له

يا ولدى خذ هذه الشاة اشتراها حتى أشترى أخرى . وقد حصلت لى غيبة قليلة عن حسى (غيبوبة واعية فى مصطلح الروحية الحديثة) فلما سمعنى الذى كان قريبا منى أتكلم مع الولد ، قالوا مع من تتكلم ؟

فلما كلمونى رجعت إلى نفسى وغاب الولد عن بصرى (إما ذاب تجسده أو كان الجزار وسيط جلاء بصرى فقط .

فهل بعد ذلك كله من حاجة إلى برهان ودليل .

اللهم إنا نسألك مخلصين أن ترينا الحق حقا فنتبعه وترينا الباطل باطلا فنجتنبه إنك أفضل مسئول وأكرم مأمول وصلى الله على مولانا محمد وآله وسلم ؟

حسن حسين
سكرتير جمعية الأهرام الروحية

النفس وآداب السلوك

لابن عطاء الله السكندرى

* ارادتك التجريد مع إقامة الله إياك فى الأسباب من الشهوة الخفية ، وإرادتك الأسباب مع إقامة الله إياك فى التجريد إنحطاط عن الهمة العالية :
* ما ترك من الجهل شيئا من إراد أن يحدث فى الوقت غير ما أظهره الله فيه
* طلبك منه أتهام له ، وطلبك له غيبة منك عنه ، وطلبك لغيره نقلة حياءك منه ، وطلبك من غيره لوجود بعدك عنه
* من علامة الاعتماد على العمل ، نقصان الرجاء عند وجود الزلل